

## نافذة

## فلسفة الطواف

حول كعبة تم اختيار اللون الأسود لها لماذا؟ والسعي ظهر في ذاك الزمن المولغ في القدم: أي قبل تقدم أبرام السومري موحد الألهة، وإنجازته لنظام التوحيد الإلهي: أي إنها وجدت ضمن ثقافة البراهماتيين المؤمنين بإلهه البراهما، هناك ولدت فكرة الطواف الأولي، وكانت دائرية تماماً، كما هو حال حج المسلمين الآن، ومازالت تتشابه الطقوس في جوهرها مع اختلافات بسيطة في مظهرها، نستعرض فكرتها بالحب العميق والإيمان المطلق بضرورة وصول الإنسان إلى مرحلة النقاء، ولو لمرة في عمره العيش، تأملوا معي وتفكروا، فالغاية التي ننشدها في فهم الإيمان بحقائق الحياة تحتاج إلى وصوله للتصالح بعد النقاء، لذلك كانت فكرة الطواف دائرية، وعكس عقارب الساعة من فكرة دوران الكون حول بعضه، وهدفها استنكار الخطايا، وإجراء محاسبة للذات عما اقترفته منذ حضور الوعي والذاكرة التسجيلية وصولاً إلى سن التكليف ضمن حالة دفع عكسية احتكاكية، تنشئ طاقة نتاجها، تغسل الروح بعد حضور الوعي حول ما فعله روحياً، فالطواف للروح غايته العودة إلى الوراء، فإن حصل واستنكر الخطايا، وقام بعملية العهد والميثاق بإصلاح ما ارتكبه فكرياً، عاد كما ولدته أمه، وكذلك السعي فهو للمادة: أي لما بناه الإنسان، وما جمعه من مال وتكوين، وأيضاً يكون بعكس عقارب الزمن، والغاية أيضاً استنكار ما جنته يدها من صبح وخطأ، فإذا استطاع الوصول إلى معرفة كم الخطيئة وما اقتناه وجناه، وعاد لإصلاح ذلك، عاد كما ولدته أمه نقياً صافياً، حيث غاية الحج الأولى والأخيرة هي استنكار الخطيئة وإجراء العهد والميثاق بعدم ارتكابها مرة ثانية ومحاولة إصلاح ما فات، وهذا من المفترض أن يحدث حين الالتقاء على جبل التعارف، حيث الناس كافة لا فرق بينهم، فإذا أنجز طوافاً روحياً صادقاً وسعيًا مخلصاً، واقتنع بأن الناس متماثلون، كان إنساناً مؤمناً حقاً.

وبالعودة إلى فكرة الطواف التاريخية، وتحدثنا أن المعابد كان حولها ثلاثة أقسام: ثلث بكامل أنواع الشراب من الماء والعصائر وجميع أنواع الخمر، وثلث لكل أنواع الأطعمة وكل ما يشتهي الإنسان من نبات وحيوان طائر أو سباح أو داب، وثلث لجميع أنواع ممارسة الجنس، من الغلمان حتى النساء والحيوان، وكل ما يشتهي جنسياً موجود، ويستطيع ممارسته بحرية، حتى إن الرسول العربي أجاز المتعة، ومنعها الخليفة عمر، لماذا هذه الفكرة التي سادت بقوى مجتمعات الشرق الروحية، وفكرتها العميقة فكرة منطقية، فبعد الطواف على هذه الأجزاء الثلاثة، كان الدخول إلى جوهر المعبد، وهو مظلم جداً، حيث في داخله يجب أن يرى الإنسان النور المسكون في جوهره، ويستمتع إلى الصوت الذي يناديه، فلا يمكن للإنسان أن يدخل إلى حالة الصفاء، وهو في حالة جوع للجنس أو الطعام أو الشراب الذي يسيطر على فكره، وعليه كان يجب أن يشبع المادي أولاً، ثم يتجه إلى اللامادي، وهذه الفلسفة تطبق تماماً على الصلاة، الصلة بين المظهر والجوهر، فإذا اتحد، اتحد بجوهر الكون المطلق، وهنا لا أريد إلا أن أكون معكم، أسألكم من المصلين استطاع الوصول إلى هذه الصلة، وكم من حاج قدر على فعل ذلك، وفهم هذه الفلسفة، لقد كان الطواف قبل الإسلام يؤديه الإنسان عارياً، وحادثاً الإلهين الصنمين إيساف ونائلة، اللذين مارسا الجنس على جدار الكعبة، وتشجنا لحظة أن تجمع عليهما الحجاج حتى وصفنا بالتحجر واستمرار تعبد الناس لهما مع اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى، إلى أن ظهر الإسلام ورمزها موجودان حتى اللحظة على صخرتي الصفا والمروة، حيث يتشابهان مع أساطير الحب التاريخية، المهم لدينا فهم هذه الفلسفة وإبراك المعاني الإنسانية الراقية التي أسست عليها قيم فهم الحياة التي تؤدي إلى فهم الإيمان الحقيقي بعيداً عن أي تصور، وأقصد هنا أن الإنسان يحتاج إلى القيام بهذه الفلسفة، الله لا يحتاجها، نحن من نحتاجها، والغاية إيجاد طاقة الصفاء والحساب الذاتي في جوهر الإنسان، لماذا نرجع الصفاء في سبع حصوات متكررة، ولماذا هي سبع؟ وأسماؤها الحصوة الأولى الصدق، والثانية الأمانة، والثالثة الإيمان، والرابعة القوة، والخامسة الثقة بالنفس، والسادسة العهد، والسابعة الحكمة أي الفلسفة، وجميعها تسكن جوهر الإنسان، فإن الإنسان فهمها، فهم فلسفة الإيمان، فهم فلسفة رحمتنا للشيطان المسكون في داخلنا، تلك الحجارة الرمزية التي نرجعها، المنجسة في التماثيل الحجرية الأكبر والأوسط والأصغر، هذه العملية أليست عملية وثنية، تنتهي وينتهي بفهمنا أن الشيطان والشيطنة مسكونان فينا، والغاية دائماً وأبداً إصلاح الذات الإنسانية، ولماذا سبع طوافات، ومتوسط عمر الإنسان سبعون عاماً؛ أي إن كل طوفة بعشر سنوات عمرية، وكذلك السعي سبعة أشواط، فهل وعينا ذلك، والكون أنجز روحياً بسبعة أيام، وعلمياً بملايين السنين، أي صراع بين العلم والدين، فالدين يتحدث عن التقوى والرتق وفالق الحب والنوى، وفاطر السموات والأرض، والعلم تحدث عن الانفجار العظيم وحادثة البينغ بانغ واكتشاف الجزيء الإله (بوزون هيغز Higgs boson) ولماذا اتجه الرسول العربي لتشييد قبلة جديدة، «فلنولينك قبلة ترضاها»، بعد أن كانت القبلة بيت المقدس، هذه العملية السياسية التي اشتركت بها الأديان بغاية إنجاز وإكمال مثلث القداسة، ألا يجب على المفسر الإسلامي أن يقدم وعياً إنسانياً جديداً، يشرح فيه فلسفة الصلاة والحج والصوم والزكاة والتكافل الاجتماعي، ونحن على أبواب حج جديد، نتناهبنا من خلاله الأزمات، وتنقض علينا الأمم من كل حذب وصوب، أين نحن من فلسفة الإيمان وديانة الإسلام، فالآية الكريمة تقول في سورة الحجرات: (قَالَتِ الْأَعْرَابُ أِمَّا قُلِّ لَمْ تُوْتِنَا وَلَكِنْ قَوْلُوا أَسْلَمْنَا لَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ) هل نعي ما معنى الحجرات، وأن فلسفة الإيمان تمتلك من القوى ما لا تمتلكه الأديان، لأنها جوهره، ومنه أجدني مهتماً بدعوة الناس كافة، لفهم منظومة الحج والصلاة التي تسكنها فلسفة الإيمان التي لم ندرکها، ليقبى تطلقنا تعلقاً فطرياً موروثاً، من دون فهم علمي وتوارث حمله الأجداد والآباء، ونحمله الآن، ولعل أن، تدعونا بقوة لفهم كامل الموروث الديني والثقافي والحضاري، فالمعرفة والفهم والعلم كلها تدعونا لاستنباط وعي جديد نادر، غايته فهم العلاقة بين الإيمان والإسلام، وماهية الحج في الأديان، والعلاقة بين الإنسان والله، وجدلية العلم والدين في الحياة، وواجبتنا إلى فلك رموزها.

د. نبيل طعمة

## هل يعني الاحتفاء بالشعر أنه لا يزال يملك بريقاً؟

## شعراء بالفصحى وآخرون يرون العامية مناسبة وتجاوزها لغة خشبية



إ | عامر فؤاد عامر

يبقى الشعر بوابة مهمة، من ابواب الأدب والثقافة، لكنه يحمل حالة خاصة من الرشاقة والإبداع، ففيه لغة نوعية يبتئها الشاعر في مجتمعه، وفي الناس التي تسمعه، ليقودهم من حال إلى حال، وهذه إحدى مهام الشاعر تاريخياً التي ولدت معه منذ أيامه الأولى قديماً، أما اليوم فللشعر أيامه في لقاء الشعراء وأهل الكلمة معاً ضمن فعاليات معرض الكتاب الدولي، وكنا قد بدأنا بتغطية الجزء الأول من اللقاء ليكون اليوم الجزء الثاني.

## علامة فارقة

فقد كان في هذا اليوم الجديد مجموعة من الشعراء الذين حضروا من محافظات ومناطق متعددة من سورية تكريماً لهذه اللفتة الجميلة، فكان وجود الشعراء مع قضاةهم في الجلسة الأولى وهم: «عبد الكريم الناعم»، و«محمد حديفي»، و«صقر عليشي»، و«بديع صفور»، و«محمود نقشو»، في حين كنا على موعد مع الشاعر «محمد علي شمس الدين» من لبنان الذي اعتذر عن الحضور، وكان رئيس الجلسة «صالح هوراي، وقد ألقى رئيس اتحاد الكتاب العرب د. «نضال الصالح» كلمته التي يذكر منها: «أشبه بجلع، بحق كانت الفعاليات الثقافية المرافقة لعرض مكتبة الأسد الوطنية للكتاب، يومان للقصيدة القصيرة، ويومان للشعر، وبقلمها ندوة في الثقافة الوطنية والتنوير، وكان الأيام الخمسة توحيد ليست أياماً احتفالية فيها بغير طاقة إبداعية سورية وعربية، بل تشرفتنا فيها في اتحاد الكتاب العرب بغير علامة فارقة من علامات الإبداع السوري والعربي، شكرًا لكل من شاركنا في هذه الأيام، ولكل من وقف جانبنا في هذه الفعاليات المرافقة، لكل الذين مكّنوا اتحاد الكتاب العرب من أن يلعب هذا الدور المميز والاستثنائي في تاريخ السدوات السابقة لمعرض مكتبة الأسد الوطنية للكتاب، فهذه هي المرة الأولى التي يكون فيها لاتحاد الكتاب العرب هذا الدور في الفعاليات المرافقة للمعرض...».

## عبد الكريم الناعم خير تمثيل

قرأ الشاعر الكبير «عبد الكريم الناعم» قصائد قصيرة جاءت عناوينها: «عائلة محبة»، و«ابن خالتي»، و«مصراع ياتح اللب»، و«ذو الجنتين»، طفل أبيض»، و«لصاحب اللب»، و«يا صاحب»، و«مبتدأ المنصوب»، و«بالسكين»، وهذه كلمات قصيدة «مبتدأ المنصوب» التي اخترتها لكم: مبتدأ المنصوب وشرق الشمس غروب

هذا ما يحدث في وطن يحكمه القاتل والقواد ويأبح مكة باسم الذين لا فطرب شرفاً أو غريباً لا تفقدك النيران الكبرى أن حرائق ما يجري كانت ونظف فلسطين فاحترن من أجرة مئة باسم الدين بخصننا الشاعر الكبير «عبد الكريم الناعم» في كلمة يقول فيها: «أحب أن أشير إلى أن معظم قصائدي هي ابنة زمانها، فتكاد تعكس هذا الزمن سواء كان زماناً بعموميته أو زماناً بشارعها الخصوصية، فارتباط قصائدي بالزمن وبأحداثه ارتباط حميمي، وارتباط جوهري، ولذلك لدي مجموعة قمتها لوزارة الثقافة بكاملها ترصد الكثير من هذه الفواجع التي طالعتنا،

ومرت علينا، وفاجأتنا هذه المفاجآت الذموية، ولذلك هي جزء من عدد من القصائد المصنوعة في هذا الأفق، واعتقد أن المسألة هي أكثر من واجب فهي شيء يسبق للأجيال، فنحن سنغادر، وسيفي شهيداً على الوقائع، شهيداً على ما اقتحمنا من أفكار غلامية، على الداشية، والتفكيرية وأنصارها، وشهيداً على الذين ارتدوا، على الذين سقطوا، وعلى الذين كانوا في خط واحد، ثم افترقوا فإذا واحد في المين وآخر في الشمال، فهذا واقعنا، واعتقد أنني لست الوحيد الذي رصد هذا الواقع، واليوم أتبع في أن أقدم بعضاً منها، واخترت هذه القصائد لأنها تمثلني خير تمثيل، فحتى من ناحية البنية الشعرية لا من حيث الانتماء، ولا من حيث مراقة الزمن فقط، ومن حيث العلاقات الداخلية في بنية القصيدة الواحدة...».

## أيضاً

ألقى في هذه الجلسة أيضاً الشاعر «بديع صفور» الذي اختار أن يلقي شعره جالساً وكانت قصائده: «نداء»، و«مبلاغ» السوري، و«رسائل متأخرة»، وغيرها، ومن ثم الشاعر «محمود نقشو» الذي ألقى قصائده من ديوان «نقش الليل».

## صلاح أبو لاري أكتب لسورية فقط

قدم شعراء الجلسة الثانية الشاعر د. «راتب سكر» فكان الشاعر الفلسطيني «صلاح أبو لاري» في البداية ومن قصائده التي قرأها: «قصيدة له-بارا عباس»، و«قصيدة لنضال الصالح»، و«نقش فلسطيني على سقف دمشق»، ومن قصيدة تختار هذا المقطع: يا شوقها، لها تخمد الأشواق؟

تغنى الحروب ويخلد العشاق أشعارنا زرعٍ يوقع باسمنا

هي أجمل الشامات في خذ السما

قلبي كنيسة مهدها يمشي على

ماء فيعزف لحنها الطراق

يعلو ويهبط والهوى دفاق

أنهارها الجبلى بكل عليّة

تجري به والجاريات عناق

نادته أحلاماً صدّق حلمها

فرثي لها والليل يندب حزنه

يقول الشاعر الفلسطيني «صلاح أبو لاري» في حديثه حول خياره لهذه القصائد: «لا اعتبر نفسي إلا سورياً، فلست ضيفاً هنا، وأنا لا اعترف

## بوح محمد حديفي

قدم الشاعر «محمد حديفي» قصيدة «بوح» وتعليقاً على هذه القصيدة المتفاحة، والتي حملت المزج بين مشاعر الحب والعلاقة مع الوطن يقول: «الشعر أولاً وأخراً رسالة تؤدي إلى المتلقي وإلى ذات الشاعر، وعلى صعيد الشعر ليس هناك من فارق على الإطلاق بين أن يخاطب الشاعر حبيبته التي يتخيلها والتي هي من لم ولحم، أو يخاطب حبيبته التي هي من تراب الأرض، وفي قصيدتي «بوح» كانت الحبيبة الواحدة «حلب» فهكذا تخيلتها، لكن في الأيام الأخيرة هذه المدينة كانت هادئة وادعة تحولت إلى امرأة تداوي جراحها النازفة فكانت قصيدتي حول هذه الرسالة...».

## صقر عليشي مع الشعر المحكي

بدأ الشاعر «صقر عليشي» مطلع قصائده بالشعر المحكي، ثم انتقل إلى قصيدة الفصحي وعن ذلك يقول: «اخترت مقطوعة بالمحكية، وأنا مع هذا اللون من الشعر، ولست مع الآراء الخشبية لاتحاد الكتاب العرب في منع إلقاء هذا اللون على المنبر، فحين تحدثت بهذه اللغة، وسمعت الألقى باللغة المحكية، ومنها أغنيات السيدة «فيروز»، فأى منبر أقدس ومن منبر الحياة في إطلاق هذا اللون من القصائد، واللغة الفصحي، والبلاغة لهما مكانهما، وكذلك اللغة المحكية، ففيها الخيال والروح والحيوية، وأنا استغرب من موقف اتحاد الكتاب العرب من هذا اللون، وهذا يعني أن لهم موقفاً حاداً من الحياة، وهم

بعيدون عن الحياة. وعن اختياره للقصائد الأخرى يقول: «اخترت قصائد من ديوان واحد هو «معنى على التل» وهو تجربة خاصة، قصائده مشغولة بروح واحدة، وهذا الديوان له شكل يميّزه عن الدواوين الأخرى التي كتبتها من قبل، وهذا ما أحاوله بشكل دائم، ولا أحاول أن أكرر نفسي، ولا لغيري أن يكرر نفسه، يكفي كتابة القصيدة مرة واحدة لا مرات كثيرة.»

## سليمان السلطان عن الوطن والأمة والغزل

كان أيضاً من شعراء هذه الجلسة الشاعر «سليمان السلطان» وعن خيارته في القصائد ومناسبتها لأيام الشعر السوري يضيف لنا: «في هذا اليوم أشارك كما شارك الكثيرون، وأعتبر أن وقفةً على المنبر يجب أن تتضمن كل ما يمكن أن يقدم في صورته التي يستحقها الموقف، فالموقف الذي نحن فيه هو موقف وطني بالدرجة الأولى؛ لأن الكتاب العربي كتاب أمة، ولهذه الحياة في مأسها، وأفراحها، فأنا ألقبت عن الوطن ما يجب أن يقال، وعن الأمة ما يجب أن يقال، وعن الحياة ما يجب أن يقال، وأنا أعلم أن فرح الحياة في قلب الإنسان يعطيه ويقدم له ما يجب، وأيضاً كان الغزل من بين قصائدي لأفتح في قلوب الناس نوافذ الفرح في مآسي الحياة الصعبة.»

## توفيق أحمد ومزاج الشاعر المعقد

ألقى مدير الهيئة العامة السورية للكتاب «توفيق أحمد» قصائده ما بين النثر والعمودي، ومنها مقطع من قصيدة مهداة إلى الشاعر «صالح هوراي»، وعن خيارته في القصائد تلك يقول: «لا أعلم كيف اخترت قصائدي، فمزاج الشاعر معقد، والمفاجأة حاضرة في اختياراته وأحاسيسه دائماً، إنما أردت بحضور شعراء سوريين وعرب أن أقول هذه قصائدي في مراحل مختلفة فاقبلت واحدة من مرحلة الثمانينيات، وواحدة من التسعينيات، وواحدة كتبناها ما بعد الألفية، ومن الممكن ملاحظة التطور الفني في هذه القصائد تبعاً للمراحل الزمنية»، أيضاً كان من بين الشعراء في هذه الجلسة كل من «غادة اليوسف»، ود. «نذير العظمة»، و«محي الدين محمد».

## نجاح حفيظ... الأم التي أبكت المشاهدين

أماً لابن، أحدهما زفٌ شهيداً في ليلة عرسه، والثاني يريد السفر من أجل بناء حياته بشكل أفضل، ونجاح حفيظ تمثل دور الأم، وقد تأملت شخصياً وتأثرت كثيراً إلى درجة أنها حين زفوا إليها أبنتها شهيداً أثناء التمثيل فقدت الوعي لمدة ربع ساعة بسبب الحزن الشديد، وبعد استيقاظها وجدت كادر العمل يبكون جميعهم دون استثناء.

على الرغم من أن الفنانة القديرة نجاح حفيظ لم تنحصر في الشخصية الأصلية، أي إنها لم تبق حبيسة (فطوم حبيص) إلا أن ذكرها بقيت ماثلة في أذهاننا في مسلسل صح النوم على أنها فطوم السيدة التي تتحدث بعفوية تامة وكأنها لا تمثل، تقول كلمات شعبية دمشقية قديمة مثل: ... ويعلى أمتي... يعطلي ضريبة إن شاء الله...

كانت تتحدث بوليفة تعبير عن اهتمام سيدة البيت الوقور فتميل رأسها نحو اليسار قليلاً وتمسك بيدها اليمنى يطف الملاءة التي على وجهها، تبعدها عن فمها ثم تتحدث وسرعان ما تعود إلى تغطية فمها بها، وكان الفم يبنغي الأبراه الآخرون إلا عند الكلام.

بعد أن قدمت (صح النوم) في السبعينيات أهلها المخرجون فترة وانتظروا حتى التسعينيات ليقدموها بدور الأم والجددة. (ميمة).

تقول السيدة: إن شخصية فطوم قد أكتسبتها محبة الناس وهذه المحبة تعطيها ثقة كبيرة، والثقة تجعل الفنان على الاستمرار في التقدم والعطاء من خلال ما يناله من المحبة الكبرى.

وهي اليوم تطرب أنها ما إن تدخل إلى أي مكان حتى يبدأ الناس بقولهم ( فطوم فطوم فطوم... خبيتي بيت الموت، لما يكره بجدي البرد، مالي غيرك كاثونة) قامت الفنانة نجاح بعدد كبير من الأدوار منها المسلسلات:

يوميات أبو عترة، أبو جلدة، نهاية رجل شعاع، جدار الزمان، أسيد المال، الخط الأحمر، ساعة الصفر الخوالي.

وعدد من الأفلام منها: عندما تغيب الزوجات، صح النوم، هجرة القلوب إلى القلوب، أنت عمري. إلا لبيت الجهات المعنية تعاود الاهتمام بفنانينا الكبار الذين يعتبرون مدرسة فنية فطرية (حقيقية)، لم يتعلموا إلى كلية، ولم تصقل موهبتهم أكاديمية، ولم ينتسبوا إلى معهد، وإنما كانت الأيام معلمهم الأول، والتجربة كليتهم الدائمة.



– لك ولا، وعمتد إيدك علي، أنا بورجيك. وركضت وراه وهو يخرج لها من الغندق، مستغيثا بأهل الحارة الذين تدخلوا لينقذوه من مرارة الانتقام المرعب. فطوم حبيص بيبص أمضت حياتها الفنية تتعامل مع الفن على أنه رسالة سامية ولم تكن تسعى إلى جمع المال.

دخلت نجاح حفيظ الفن وهي في السادسة عشرة، لكنها في حقيقة الأمر لم تكن تمثل، بل كانت هي في كانت الفنانة إذا طلب إليها أن تقدم دوراً لا تدرسه دراسة أو تتدرب عليه، بل لقد كانت تعيشه حقاً، تقمص فيه وتنقصه وتعيش في أعماقه وما تزال تتفحص وتتفحصه حتى تغدو هي تلك المرأة التي في داخل العمل، لذلك فإنها لم تكن تمثل بل كانت تعرض روحها السامية من خلال الفن.

وقد قالت نجاح حفيظ عن نفسها إنها تعتبر مسلسل (البقعة السوداء) هو العمل الأقرب إليها، فقد كانت

صبت جام غضبها على ياسين؛ ما أدى إلى أن تصبح حبيته ووجنتها محط دائماً للطمانين وصفعاتها، ذلك الرويش المسكين الذي طالما حاول أن يسترجل عليها، لكنه كم كان يقابل بدري أبو كلبيشة رئيس المخفر لشكو منها ضريبة يد أو كعب حذاء... ولكن بالمقابل كانت هي تحس بالطمانن أكثر وتترك أنها تصفع نفسها قبل أن تصفعه، فقد خاب أمها في اختيار رجل حقيقي تتكل عليه... وتقوئي الذاكرة هنا إلى المشهد المشهور الذي تشعر فيه فطوم بالحسرة الكبيرة لأنها تزوجت رجلاً مشاف فقول لزوجها ياسين بقوش:

– لك ول علي أمة حظي أنا، لك والله مشتهية شي يوم تصرخ فيني شي صوت، مشتهية شي مرة تضربني شي كف، كف واحد بس. هنا أحس ياسين بقوش بالتحدي الكبير، فأخذته الحمية، وصاح مسترجلاً بأعلى صوته: – لك إذا هيك بسيطة ما... ورفع يده وصفعها على خدما، فصعقت فطوم وبهتت، وصاحت: